﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: 62 - 63]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لما قَبْلَهُما:

ربـــطُ نسيـان الحوت ومعاناة النّصَب بتحديد مجمع البحرين للـلقاء الخَضِر المُرَتَّقَب

بعد أنْ بلغَ موسى عليه السلام وفتاه مجمعَ البحريْن، وأويا إلى الصّخرةِ، واتّخذَ الحوتُ سبيله في البحرِ سربًا دونَ علم من موسى، وظنَّ موسى عليه السلام أنّ المطلوبَ أمامه، أو أنّ المُرادَ مجمَعٌ آخر؛ سار مع فتاه حتى جاوزا مجمعَ البحريْن، فأُلقيَ على موسى التعبُ والجوعُ بعد المجاوزةِ ليتذكّر الحوتَ، ويرجعَ إلى مطلبه، وهذا قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾[1]، إذنْ: هي تتمّةُ رحلةِ البحثِ عن الخَضِر.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَاوَزَا﴾: أصلُ (جوز) يدلُّ على قطعِ الشّيء، وجُزْتُ المَوْضِعَ: سلكته وسِرْتُ فيه، وأَجَزْتُهُ: خَلّفْتُهُ وقَطَعْتُهُ[2]، وجاوزتُ الموضعَ جوازًا بمعنى جُزْته، والاجْتيازُ: السُّلوك[3]، وجازَ بالموضع: سلكَه وتركَه خلْفَه، وسارَ فيه وقطَعَه[4]، وجاوزه: تعدّاه، يُقال: جزتُ البلدَ؛ أيْ: تعدّيتَه، فجاوز بمعنى: تجاوز[5]، ومعنى ﴿جَاوَزَا﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللّغويّ؛ أيْ: سلكا وسارا، وتعدّيا وخَلّفا وراءَهما المَكانَ الذي سَيَلتَقيان فيه مع العَبدِ الصّالِح[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 97.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصِّحاح: (جوز).
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (جوز).
(4) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (جوز).
(5) السّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 358.
(6) أبو حفص النَّسَفيّ، التّيسير في التّفسير: 10/ 108، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4556.

2) ﴿غَدَآءَنَا﴾: أصلُ (غدو) يدلّ على زمانٍ؛ ومنه الغُدوَةُ: البُكْرَة ما بين صلاةِ الغداةِ وطلوعِ الشمس، والغَداةُ: الضّحْوَةُ، والغَداءُ: الطَّعامُ بعَيْنِه، وهوَ خِلافُ العَشاء، والغَداءُ: طَعامُ الغُدْوَةِ؛ سُمّيَ بذَلِكَ لأَنَّهُ يُؤْكَلُ في ذلك الزَّمانِ[1]، ومعنى ﴿غَدَآءَنَا﴾ موافقٌ للمعنى اللُّغويِّ؛ أيْ: طعامُ النّهار، ويُؤكلُ في أولِ النّهار، والمُرادُ به هنا: الحوت[2].

3) ﴿لَقِينَا﴾: أصلُ (لقي) يدلُّ على تَوافي شَيْئَيْنِ وتقابلهما، وكلُّ شيءٍ اسْتَقْبَلَ شَيْئًا أو صادَفَهُ فقد لقيَه من الأَشياء كُلِّها[3]، وكلُّ (لَقيَ) و(التَقى) هي بمعنى المقابلة والوجود القويّ؛ أيْ: يستقبله ويلقاه ويجدُه[4]، واللِّقاءُ: مقابلةُ الشّيءِ ومصادفته معًا، ويُقالُ ذلك في الإدراكِ بالحسّ وبالبصرِ وبالبصيرة[5]، والمُراد بـ ﴿لَقِينَا﴾ في الآية: وجَدْنا[6].

4) ﴿نَصَبًا﴾: أصلُ (نصب) يدلّ على إقامَةِ شَيْءٍ وإهْدافٍ في اسْتِواءٍ، والنَّصَبُ: العَناءُ، مأخوذٌ من الانتصاب، ومَعناهُ أَنَّ الإنسانَ لا يَزالُ مُنْتَصِبًا حَتَّى يُعْيِيَ[7]، والنُّصْبُ والنَّصَبُ: التَّعَبُ والمشقّة، ونَصَبَه المرضُ: أتعبَه وأوجعَه، والنُّصْبُ أيضًا: الشّرُّ والدّاءُ والبلاء[8]، والمُراد بالنّصَب في الآية: التّعبُ والمشقّة والجوع، والإعياءُ من الجهدِ المبذولِ في السّفر[9].

5) ﴿أَوَيْنَآ﴾: (أوي) أصلان؛ أحدهما: التّجمّع، والثّاني: الإشفاق، وأوى إلى كذا: انضمَّ إليه، والمأوى: المنزلُ، ومكانُ كُلِّ شَيْءٍ يأْوي إليه لَيْلًا أَو نَهارًا[10]، وأويتُ إلى منزلي: عُدتُ[11]، وأوى إلى البيت: نزلَ فيه واتَّخذه مأوىً له، وأوَى إلى المكان: لجأَ إليه[12]، ومأوى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (غدو).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 366، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 174.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (لقي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (لقى).
(5) الرّاغب، المُفردات: (لقي).
(6) السّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: 4/ 37.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب).
(8) الفيروزابادي، القاموس المحيط، وجبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (نصب).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 366، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 174، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4556.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (أوى).
(11) ابن سيدَه، المُخَصّص: (أوي).
(12) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (أوي).

الرّجلِ: منزله الذي يميلُ إليه ويُقيمُ فيه[1]، ومعنى ﴿أَوَيْنَآ﴾: التجأنا إلى الصّخرةِ، وأقمنا عندها[2].

6) ﴿ٱلصَّخْرَةِ﴾: الصخرةُ في اللّغة هي الحجرةُ العظيمةُ الصّلبة[3]، والمُرادُ بالصّخرةِ في الآية: صخرةٌ معهودةٌ لهما، إذ كانا قد أويا إليها في سيرهما فجلسا عليها، وكانت في مجمعِ البحريْن[4].

7) ﴿عَجَبًا﴾: أصلُ (عجب) يدلُّ على كِبَرٍ واسْتِكْبارٍ للشَّيْءِ، وأَمرٌ عَجيبٌ: إذا اسْتُكْبِرَ واسْتُعْظِمَ، وشيء مُعْجِبٌ؛ أي: حَسَنٌ[5]، والعَجَبُ: إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقلَّةِ اعْتيادِه[6]، والعَجبُ والتعجّبُ: حالةٌ تعرضُ للإنسان عند الجهلِ بسببِ الشّيء، أو إذا خرجَ بها المتعجَّبُ منه عن نظائره، فالعَجبُ هو الشيءُ الذي لم يُعرفْ سببه، ولم يُعهدْ مثله[7]، ومعنى ﴿عَجَبًا﴾ في الآية: التّعجُّب ممّا حدثَ من الحوت[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

انسرابُ الحوتِ بمجمعِ البحريْن سربًا أضحى لموسى وفتاه آيةً عجبًا

تجاوز موسى ﷺ وفتاهُ المكانَ المقصودَ من مجمعِ البحريْن، وسارا بقيّة يومهما وليلتهما؛ حتى إذا كان الغدُ وارتفعَ النهارُ أحسَّ موسى بالجوعِ، حينئذٍ قال لفتاه: أحضِرْ طعامَنا؛ أيْ: ما نتغدَّى به - وهو الحوتُ كما يُنبئُ عنه الجوابُ - لقد لقينا تعبًا شديدًا من هذا السَّفر، فقال له فتاه: أرأيتَ حين مكَثْنا عند الصَّخرةِ بمجمعِ البحريْن فإنّي نَسيتُ أنْ أخبركَ بما حدثَ من الحوت، إنّه حيَ

(1) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 86.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 233، والمراغي، تفسير المراغي: 15/ 174.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّبيديّ، تاج العروس: (صخر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 366.
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عجب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (عجب).
(7) الرّاغب، المُفردات، ص: 547، والسّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: 3/ 30.
(8) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 550، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 177.

واضطربَ وشقَّ طريقَه الذي سلَكَه في البَحرِ نفقًا ظاهرًا في الماءِ، لا يَلتَئِمُ بعده في البَحرِ، وما أنساني ذِكْرَه إلا الشَّيطانُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾:

بـروز الـدّلالـة في السّياق من خـلال معنى الحرف المُساق

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ عاطفةٌ[2]، وجملة ﴿فَلَمَّا﴾ معطوفة على محذوف، والتّقدير: (فذهبا يمشيان حتّى جاوزا مجمعَ البحريْن، فلمّا جاوزا قال لفتاه)[3]، وحقّها إفادةُ التّرتيبِ والتّعقيبِ[4]، وقد تكون الفاء هنا للتّفريعِ، وقد تكون هي الفصيحة؛ لأنَّها تفصحُ عن كلامٍ مقدَّر، وتقديرها: أيْ فسارا حتّى إذا جاوزا[5].

دلالةُ ﴿فَلَمَّا﴾ على الحينيّة الشّرطيّة:

الإشارةُ إلى أوان شـعـور مـوسى وفتاه بالنّصَبِ الّذي لَقيَاه

﴿فَلَمَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ حينيّة شرطيّة غير جازمة مُتعلّقة بالجواب ﴿قَالَ﴾؛ أيْ: (قال لفتاه حين جاوزا)، وقد أتى معنى الشّرط فيها للدّلالة على الزّمنِ الماضي بما يفيدُ تحقّقَ وقوعِ هذا الحَدَثِ بطرفيْه؛ لأنّ الآيةَ نزلتْ بعده.

ويكون في تقييد الجملة الخبريّة: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ بظرفِ المجاوزة ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ دلالةٌ على أنّ شعورَ موسى وفتاه بالنّصَبِ والجوع كان من سفرهم الكائنِ بعد مجاوزةِ مَجْمَعِ البحريْن.

سرُّ التّعبير بلفظِ ﴿جَاوَزَا﴾ عن مغبّة المُجاوَزَة:

انتقاء الألفاظ في المباني يتناسبُ مع دقّة السّياق في المعاني

عبّر البيانُ القرآنيّ بمُفرَدَة ﴿جَاوَزَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ دون غيرها، فلم يَقُلْ مثلًا: (مَرّا) أو

(1) المراغي، تفسير المراغي: 15/ 176.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 628.
(3) الهَرريّ، حدائق الروح والريحان: 16/ 450.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4561.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 365.

(مضيا) أو (ذهبا)؛ لأنّها تشتملُ على جميع معانيها وزيادة تناسبُ المقام والسّياق، وهي الدّلالةُ على قطعِ الشّيء وتركه خلفه، يُقال: جزتُ البلدَ؛ أيْ: تعدّيتَه[1]، وتجاوزَ الموضعَ: سلكه وتركه خلفه[2]، فالمجاوزةُ: البُعدُ عن المكانِ عقبَ المرورِ فيه[3]، وهذا كان حال موسى والفتى؛ فقد مَرّا في المكانِ، وسلكاه وتركاه خلفهما، وبَعُدا عنه مسيرةَ يومٍ وليلة كما ثبتَ في الحديث، وهذا يدلّ عليه السّياق بقوله: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

نكتة حذف مفعول ﴿جَاوَزَا﴾ في السّياق:

الحذفُ أبلغُ في البيان وآثَرُ في الإشارة والتّبيان

حذَفَ البيانُ الإلهيّ مفعولَ الفعل ﴿جَاوَزَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ اختصارًا؛ للعلم به؛ إذ سَبَقَ ذِكْرُه في الآية السّابقة: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: 61]، والمعنى: فلما جاوزا مجمعَ البحرين[4].

نكتة فصل جملة ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ عن سابقتها:

طلبُ موسى الغداءَ للشّعور بالنّصَبِ مُناطٌ بمجاوزة المكان المُرتَقَب

فَصَلَ القرآنُ جملةَ ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ عن الجملةِ التي قبلها ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾، ولم يربطهما بعاطفٍ على نحو: (وقال لفتاه)؛ لما بين الجُملتيْن من كمالِ اتّصالٍ؛ إذ إنّ الجملة الثّانية ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ جاءتْ جوابًا لـ﴿فَلَمَّا﴾ بما تحمله من معنى الشرط، ولكونها مُتعلَّقًا لـ ﴿فَلَمَّا﴾ بما تحمله من معنى الظّرفيّة الزّمانيّة، ولم تدخلِ الفاءُ الرّابطةُ لجوابِ الشرطِ على الجملة؛ لأنّ من شرطِ (لَمّا) ألّا تدخلَ الفاءُ على جوابها[5].

سرّ استعمال اللّام في قوله ﴿لِفَتَىٰهُ﴾:

قولُ موسى لفتاه تكليفٌ بإحضارِ الغداء الّذي حمله

اللّامُ في قوله: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ لامُ التّبليغ، "وهي الجارّةُ لاسمِ

(1) السّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 358.
(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (جوز).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 79.
(4) النّحّاس، إعراب القرآن: 2/ 300، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 366.
(5) المَوْزعيّ، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص: 191.

السّامع لقولٍ أو ما في معناه"[1]، ويتمُّ بها تعديةُ فعلِ القولِ إلى المخاطبِ بالقول؛ أيْ: بلّغ موسى فتاهُ بأنْ يأتيَ بغدائهما.

سرُّ التّعبير بلفظ ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ دون المرادفات سواه:

مَن هيَّأ الله له خدمةَ السّعيدِ فهو سعيدٌ

الفتى في اللّغة: الذَّكَرُ الشّاب، والأنثى: فتاةٌ، وهو مستعملٌ مجازًا في التّابعِ والخادمِ والمملوك[2]، وفي المُراد بفتى موسى قولان: إمّا أنّه كان معه يخدمه، أو أنّه ابن أخته، وهو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، لزمه ليتعلَّم منه[3]، وسرّ تسميته بالفتى، يرجع إلى أنّه قامَ مقامَ الخادم، وهذا المعنى استعمله القرآن في التعبير عن العبد بـ(فتى)[4]، فقد قال تعالى: ﴿*وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: 30]، وقال ﷺ: "ولا يقلْ أحدكم: عبدي أمَتي، وليقلْ: فتايَ وفتاتي وغلامي"[5]، ولأنّه لمّا كان الخَدَمَةُ أكثرَ ما يكونون فتيانًا في مقتبل العمر قيلَ للخادم فتىً على جهةِ حسنِ الأدب[6]، وإشارةً إلى مدحِ الشَّباب، فالشَّبابُ باكورةُ الحياة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: "ما بعثَ اللّه نبيًّا من الأنبياء إلا شابًّا، ولا أوتيَ العلمَ عالمٌ إلا وهو شابٌّ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: 60]"[7].

أو لأنّ مرافق موسى عليه السلام كان ملازمًا له، يأخذُ عنه العلم، ويخدمه[8].

ولم يعبّر بـ(الصّاحب)؛ لما في التعبيرِ بالصّحبة من إيهامٍ بأنّه

(1) السّيوطي، الإتقان: 2/ 266.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 359.
(3) ابن العربي، أحكام القرآن: 3/ 238، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 11.
(4) ابن العربي، أحكام القرآن: 3/ 238، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 11.
(5) صحيح البخاريّ، كتاب: العِتق، باب: كراهية التّطاول على الرقيق وقوله: عبدي أو أَمَتي، الحديث رقم: (2552).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 11.
(7) الثّعالبيّ، اللّطائف والظّرائف، ص: 251.
(8) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 154، والواحديّ، التفسير الوسيط: 3/ 156، والخطيب البغدادي، الفقيه والمُتفقّه: 2/ 197.

في مقامِ موسى ﷺ، إذ أصلُ (صحب) في اللّغة: "يدلُّ على مُقارنةِ شيءٍ ومقاربتِهِ"[1].

نكتةُ الضَّمير في لفظ ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ مُبينةٌ عن دلالته ومُؤدّاه:

في إضافةِ الفتى لموسى ﷺ تَجِلَّةٌ للفتى وإكرامٌ

الضَّمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يرجع إلى موسى ﷺ، وإضافةُ الفتى إلى ضميرِ موسى على معنى الاختصاص، كما يُقال: غلامه[2]، وفائدةُ إضافته إلى موسى تشريفٌ للفتى، وهذا يشيرُ إلى أنّ مصاحبةَ الصالحين شرفٌ؛ حيث تكرَّر ذِكرُ الفتى وإضافته إلى نبيّ الله موسى ﷺ ببركةِ مصاحبته وملازمته له.

سرُّ التّعبير بلفظ ﴿ءَاتِنَا﴾ عوضًا عن لفظ (أعطنا):

التّعبيرُ بالإيتاءِ أنسبُ لمُؤدّاه وأوفى بالتّعبير عن حالِ موسى وفتاه

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالإيتاء دون الإعطاء في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؛ لكونه أنسبَ للسّياق والمقام؛ إذ إنّ المأمورَ هو فتى موسى ﷺ، وأمرُ موسى له بإيتاءِ الغداء هو أمرٌ فيه قوّةٌ ووجوبٌ، ولا يتوقّف على قبولٍ من الفتى، وهذا يناسبه لفظُ الإيتاء، بخلافِ الإعطاء؛ لأنّ الإعطاءَ له مطاوعٌ، يُقال: أعطاني فعَطَوتُ، ولا يُقال: أتاني فأتيتُ، ممّا يجعل فعلَ الإيتاء أقوى[3]، ولأنّه ليس في الإيتاء تفضُّلٌ من الفتى، بل هو أمرٌ يجبُ تنفيذه، بخلافِ الإعْطاءِ فإنَّه لا يكونُ إلّا بمحْضِ التَّفَضّلِ[4]، ولأنّ السّياقَ في الآيةِ هو طلبُ إحضارِ الطّعامِ لا طلب تملُّكه؛ فموسى لا يحتاجُ إلى التّملُّكِ الذي يفيده الإعطاء؛ فالطعامُ ملكه، والإحضارُ من معاني الإيتاء[5]، بخلافِ الإعطاءِ فإنّه يدلّ في أبرزِ معانيه على المناوَلةِ والتّملّك[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صحب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 359.
(3) الزَّركشيّ، البرهان: 4/ 85.
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (عطو).
(5) الزَّبيديّ، تاج العروس: (أتى).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عطو).

كما أنّ في التعبيرِ بالإيتاءِ إلماحٌ إلى معنى السرعة في تنفيذِ الأمر، وهذا من معاني الإيتاء، يُقال: والأَتْوُ: الاستقامةُ في السَّيرِ والسُّرْعةُ[1]، وهذا يتناسبُ مع طلبِ السُّرعةِ في إحضارِ الطَّعام لما أصابهم من نَصَبٍ دلّ عليه قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

مرجع الضّمائر في ﴿ءَاتِنَا﴾ و﴿غَدَآءَنَا﴾ و﴿لَقِينَا﴾:

علوُّ أدبِ موسى ﷺ ومعاناتُه في تحصيلِ العلمِ المرَام

مرجعُ الضّمير في ﴿ءَاتِنَا﴾ و﴿غَدَآءَنَا﴾ و﴿لَقِينَا﴾ هو موسى ﷺ وفتاه، رغم أنّ العادةَ أنْ ينوبَ الأستاذُ المتبوعُ عن الطّالبِ التابعِ في الحديث، لكنّ البيانَ القرآنيّ جاءَ بصيغة الجمع؛ للدّلالة على عُلوِّ أدبِ موسى ﷺ وتواضعه ورحمته؛ إذ جعلَ فتاه رفيقًا له وشريكًا في الطعامِ والشعورِ بالتعبِ والجهدِ المبذولِ في هذه الرحلة؛ لا مجردَ خادمٍ أو تلميذٍ، وفي هذا استحبابُ إطعامِ الإنسانِ خادمَه من مأكلِه، وأكلِهما جميعًا، وملاطفتِه وحسنِ معاملتِه[2].

ولو عبّر بقوله: (آتني) أو (لقيت) أو (سفري)؛ لذهبتْ هذه المعاني، ولأشارَ إلى شيءٍ من الاستعلاءِ على الفتى، بما لا يتناسبُ مع مقامِ النّبوّة والرَّحمة.

وفي هذا التّعبير إلماحٌ بأنّه في طريقِ البحثِ عن المعرفةِ والعِلْمِ والحقِّ يتساوَى الجميعُ في الجهدِ والتّعب.

دلالة اللّام و(قد) في قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا﴾:

في أسلوب التّوكيدِ إشارةٌ إلى النّصَب المُرهِق الشّديد

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا﴾ جوابٌ لقسمٍ محذوفٍ تقديره: (واللّه قد لقينا من سفرنا هذا نصبًا)، يفيدُ توكيدَ ما أصابهما من تعبٍ شديدٍ بعد مجاوزتهما الصّخرة الّتي أويا إليها.

و(قد) حرفُ تحقيقٍ وتوكيد[3]؛ أيْ: أكّد موسى معاناته من التّعبِ بعد هذا السّفرِ، فكان طلبه للطّعامِ رجاء أن يُخفّف من هذا التّعب.

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (أتو).
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 5/ 483.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 629.

وهذا التّوكيدُ بالقسمِ و(قد) يشيرُ إلى أنّ ما أصابَ موسى وفتاه من التّعب بسببِ السّير بعد مجاوزة الصّخرة كان تعبًا شديدًا، وإلى أنّه مُتحيّر من ذلك؛ إذْ لم يَلقَ هذا النّصَبَ سابقًا.

دلالة جملة التّعبير عن النَّصَب وما فيها من بيان عجب:

ليس في الخبر اعتراضٌ على القَدَرِ ما لم يُصاحبْه الضَجَر

جاءتْ جملة ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ في مَحلِّ التَّعليلِ للأمرِ بإيتاءِ الغَداءِ؛ إمّا باعتبارِ أنَّ النَّصَبَ إنَّما يَعتَري بسبَبِ الضَّعفِ النّاشئِ عن الجوعِ، وإمّا باعتبارِ ما في أثْناءِ التَّغدّي من استراحةٍ ما[1].

وفي هذا الإخبارِ دليلٌ على جوازِ أن يُخبر الإنسانُ بما يجده من الألمِ والمرضِ والتّعبِ والمشقّة، وأنّ ذلك لا يقدحُ في الرّضا والتّسليمِ للقضاء، هذا إذا لم يصدرْ ذلك عن ضَجَرٍ ولا سخطٍ ولا شكوى[2].

والحِكمةُ في حُصولِ الجوعِ والتَّعَبِ له حين جاوز المكان الموعود: أن يَطلُبَ الغداءَ فيَذكُرَ الحوتَ، فيرجعَ إلى حيثُ يجتَمِعُ بمرادِه[3].

دلالة الجارّ ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن سَفَرِنَا﴾:

بدايةُ الشّعور بالنّصَبِ إشارةٌ إلى أوان اللّقاء المُرتَقَب

معنى ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ابتدائيّة؛ والمعنى: لقد لقينا من ابتداءِ سفرنا الكائنِ بعدَ مجاوزةِ الصّخرة نصَبًا، وفي هذا إيماءٌ منه إلى اقترابِ الوصولِ إلى المطلوب؛ إذ لم يشعرا بالتّعبِ إلّا في هذا السّفرِ القريبِ الّذي سافراه في هذا اليوم خاصّة، وهذا المعنى لم يظهر فيما لو جاءت العبارة: (لقد لقينا نصبًا).

سرُّ الإشارة باللّفظ ﴿هَذَا﴾ الدّالّ على معنى القُرب:

وقوعُ النّصَبِ من السّفرِ المذكور بعد مجاوزةِ المكان المأثور

استعمل النظم الكريم اسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ في قوله تعالى:

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 233.
(2) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 7/ 191، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 322.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 316، والبَغَويّ، معالم التّنزيل: 5/ 187، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 298.

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ إشارة إلى السَّفَرِ القريب الكائنِ منهما بعدَ مجاوزةِ المكانِ المذكورِ الذي عيَّنه الله لهما؛ للإشارةِ إلى أنَّهما لم يَجِدا النَّصَبَ قَبلَه[1]، وفي الحديث قال ﷺ: "ولم يجِدْ موسى النَّصَبَ حتى جاوَزا المكانَ الذي أمَرَ الله به"[2].

دلالة (النَّصَب) على الإرهاق، وسرُّ التّعبير به في السّياق:

انتقاءُ اللّفظ الأنسب للتّعبير مسألةٌ في الفصاحة أثير

المُرادُ بالنَّصَب في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: التَعَبُ والعَناءُ والوَهَنُ[3]، وقد آثرَ البيانُ القرآنيُّ التعبيرَ به دون غيره كالتَّعب؛ لأنّ النَّصَبَ أنسبُ للسّياقِ الذي دلّ على أنّه نصَبٌ بسببِ السّفر؛ وأنّه سيرٌ مستمرٌّ يومًا وليلة كما ثبتَ في السُنّة، وهذا يتناسبُ مع معنى النّصب في اللغة، فأصلُ (نصب) يدُلُّ على إقامةِ شَيءٍ؛ وكأنّ الإنسانَ لا يزالُ مُنتَصِبًا حتى يُعيي[4]، قال الزّمخشريّ: "النّصَبُ التَّعبُ والمشقّة التي تصيبُ المُنتصبَ للأمرِ المزاولَ له"[5]، ولهذا قيل في معنى النّصَبِ أنّه تعبٌ في البدنِ خاصّةً[6]، أو: تعبٌ من شدّة حرٍّ أو بردٍ[7] أو جوعٍ، وكلّ هذا يتحقّق في السفر، فكان التعبيرُ بالنّصَب أدلَّ على المعنى المُراد، وأكثرَ تصويرًا لحالهم؛ وكأنّهم ما يزالون مُنتصبين حتى تعبوا وجاعوا، ولهذا طلبَ الطعام.

دلالة التّعبير بلفظ ﴿لَقِينَا﴾ على الدّلالة المُبينة:

في التّعبيرِ باللُّقيا تصويرٌ للنَّصَبِ وإبرازٌ للعناء والوَصَب

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ اللُّقيا في قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 732، والشّوكاني، فتح القدير: 3/ 353.
(2) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: 60]، الحديث رقم: (4448)، واللّفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: من فضائل الخَضِر ﷺ، الحديث رقم: (2380).
(3) الماوَرْدي، النُّكَتُ والعيون: 3/ 323.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب)، والرّاغب، المُفردات، ص: 807.
(5) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 614.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 34.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.

﴿هَٰذَا نَصَبًا﴾ دون غيره من الألفاظ، فلم يقلْ مثلًا: (لقد وجدنا) أو (لقد نزل بنا)؛ لأنّ لفظ اللُّقيا وما يحمله من معانٍ أنسبُ للسّياق، إذ أصلُ (لقي) يدلُّ على تَوافي شَيئَين وتقابلهما، ولَقيتُهُ لَقْوَةً؛ أَي: مَرَّةً واحِدَةً[1]، والمعنى المحوري لها: تحصيلُ المقابلةِ مواجهةً أو تماسًّا؛ أي: بقوّة، واللقاءُ: استقبالُ الشخص قريبًا منه[2]، واللِّقاءُ: مقابلةُ الشّيءِ ومصادفته معًا[3]، فكلّ هذه المعاني تتناسبُ مع السّياقِ الذي يُصوّر حالةَ موسى ﷺ وفتاه وما لقياه من النّصب في سفرهما، وكأنّ النَّصَبَ إنسانٌ مختارٌ لهما؛ طلبهم واستقبلهم وقابلهم وجهًا لوجهٍ، وصادفهم وفاجأهم[4]، وكان قريبًا منهم إلى درجةِ التّماسِّ والاتّصالِ والمواجهةِ بقوّة، فشعرا فجأةً بالتّعبِ الشّديد، وهذا الشّعور كان مرّةً واحدة، وذلك من سفرهما وهو سيرهما يومًا وليلة بعد مجاوزة الصخرة، وهذا ما جعلَ موسى ﷺ مُتحيّرًا من ذلك؛ إذ لم يلقَ هذا النّصبَ سابقًا.

سرُّ الفصل لجملة ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ في السّياق المُحْكَم:

جـــوابُ الفـتى لمـــــوسى ﷺ مـزدانٌ باللّباقة والاحترام

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملة: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ عن الّتي قبلها: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾؛ لكونها على طريقةِ المُحاوَرات؛ أي إنَّ قولَ الفتى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾ هو جوابٌ على قولِ موسى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾، وهي طريقةٌ مُتّبعةٌ في القرآنِ في حكايةِ المحاورات، وهي طريقةٌ عربيّةٌ، وإنّما حذفوا العاطفَ في أمثالِه كراهيةَ تكريرِ العاطفِ بتكريرِ أفعالِ القولِ، فإنّ المحاورةَ تقتضي الإعادةَ في الغالبِ، فطَرَدوا البابَ فحذَفوا العاطِفَ في الجميعِ، وهو كثيرٌ في التنزيل[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لقي).
(2) جبل، المعنى الاشتقاقيّ المُؤصّل: (لقى).
(3) الرّاغب، المُفردات، ص: 745.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4556.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 401.

سرُّ التّعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾:

ما حدثَ في الزّمنِ الماضي ولم يتكرّرْ فِعْلُهُ من الفصيح المُعبّر

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بالفعل الماضي: ﴿قَالَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾؛ لأنّ هذا القولَ حكايةٌ عن الزمنِ الماضي؛ إذ هو قد وقَعَ وحدَثَ، ومتى صدرَ القولُ منَ المُتكلّم فقد أصبحَ في الزّمنِ الماضي، وخاصةً أنّ هذا القول: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ لم يتكرّرْ من الفتى، ولأنّ صيغةَ الفعلِ الماضي تناسبُ السّياقَ الذي جاء الحوار فيه كلّه بصيغةِ الفعلِ الماضي: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: 60]، ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا﴾، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

دلالة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾:

استفهامُ التّعجيب يُشيرُ إلى حصولِ الأمرِ العجيب

همزةُ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ همزة استفهامٍ وتعجّبٍ، ومُرادُ الفتى بالاستفهام تَعجيبُ موسى عليه السلام ممّا اعْترى الفتى هُناك مِن النِّسيانِ، مع كَونِ ما شاهَدَه من العَظائمِ الَّتي لا تَكادُ تُنْسى[1]، وهي عودةُ الحياة إلى الحوت، وقفزُه في البحر؛ أيّ: قال الفتى لموسى عليه السلام: أرأيتَ ما دهاني في وقتِ أنْ أوينا ولجأنا إلى الصخرةِ التي عند مَجْمعِ البحرَيْن؟[2].

ويحتمل أن يكون الاستفهام بمعنى التَّقرير، وظاهره: أعلمتَ، ومعناه: اعلم أنّه كان كذا[3]، أو أن يكون بمعنى الأمرِ بجامعِ الطّلَبِ[4]، والمعنى: انتبه فإنّي نسيتُ الحوتَ، أو: اسمعْ وتفهّم فإنّي نسيتُ الحوتَ[5]، أو: أخبرني ما دهاني[6].

دلالة التّعبير بلفظ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ دون لفظ (أَعَلِمتَ):

التّعبيرُ بالرّؤيةِ ثراءٌ في المعنى ومُلاءمةٌ للسّياق

عبّر البيانُ الحكيمُ بالرُّؤية في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾ دونَ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 233.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 287، والبِقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 97، وطنطاوي، الوسيط: 8/ 549.
(3) أبو حفص النَّسَفي، التّيسير في التفسير: 10/ 109.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 4/ 57.
(5) الواحِديّ، التفسير البسيط: 14/ 76.
(6) الزّمخشري، الكشّاف: 2/ 733.

العلم، فلم يَقُلْ (أعلمتَ إذ أوينا)؛ لاتّساع دلالةِ الرّؤية إذْ تأتي بمعنى الرّؤية البصريّة، وتأتي بمعنى العِلْم، فالرّؤيةُ: إدراكُ المَرئيّ بحاسّةِ البصرِ، أو بالفكرِ، وبالعقل[1]، كما أنّ الرؤيةَ تأتي بمعنى التّعجُّب[2]، وهذه المعاني أنسبُ للسّياقِ وأدلُّ على المُراد؛ فالسّياقُ سياقُ تعجُّبٍ من الفتى لمّا رأى ما حصلَ من الحوت، وهو مبنيٌّ على الرّؤية البصريّة؛ أي: تعجّب بسببِ ما رآه لا ما عَلِمَه، فقد شاهدَ هذا بعينه، والرُّؤْيَة لا تكون إلّا للْمَوْجود[3]، والمُشارُ إليه هنا وقائع ظاهرة حدثتْ معهما وليستْ معدومة.

كذلك فإنَّ التعبير بلفظ ﴿أَرَءَيْتَ﴾ قد أعطى ثراءً في المعنى؛ إذ أفادَ الرؤية البصرية مع التعجّبِ بالنسبةِ للفتى، وأفادَ في الوقتِ ذاته الرؤية العلميّة بالنسبةِ لموسى ﷺ، "كأنّه قيل: بصرتَه وشاهدتَ حالَه العجيبةَ، أو أعرفتَها أخبرني عنها"[4]، ولذا فمن المُفسّرين مَن فسّره بأبَصرْتَه؛ أيْ: بصرتَ حالنا إذْ أوينا؟[5]، أو بأخبرني[6] أو أعلمتَ، أو بمعنى (أمّا)، بدليل دخولِ الفاء بعدها، والمعنى: أمّا إذ أوينا إلى الصخرةِ فالأمر كذا وكذا[7] أو: تنبّه فإنّي نسيتُ الحوت، أو اسمعْ وتفهّم فإنّي نسيتُ الحوت[8]، ووجهُ المجاز في هذه المعاني أنّه لَمّا كان الإبصارُ به طريقًا إلى إحاطته علمًا وإلى صحّةِ الإخبارِ عنه استُعمِلَتِ الصيغة التي لطلبِ الإبصارِ في طلبِ الخبر[9].

وتنوّعُ هذه المعاني وثراؤها في التعبير بهذا اللّفظ دونَ غيره ممّا يُسهمُ في إبرازِ صورةٍ في المخيّلة لهذا الحدثِ العجيب.

معنى ﴿إِذْ﴾ في قوله ﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾:

تُفيدُ ﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ الظّرفيّة، فهو ظرفٌ لما مضى

(1) الرّاغب، المُفردات، ص: 374، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 116.
(2) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 320.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 94.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 4/ 75.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 117.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 733.
(7) الخفاجي، عناية القاضي: 4/ 75.
(8) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 76.
(9) الخفاجي، عناية القاضي: 4/ 75.

من الزّمان بمعنى (حين) مُتعلّقٌ بمعمولِ أرأيت المحذوف[1]، والمعنى: أرأيتَ ما دهاني حين أوينا، أو الوقت الذي أوينا، وهذا فيه تحديدٌ من الفتى لزمانِ فقدانِ الحوتِ وما حصلَ له من أمرٍ عجيبٍ، بما يشيرُ إلى تأثّرِ الفتى بهذا الحدث، ودقّةِ ملاحظته له، ورغمَ ذلك نسيهُ بما يومئ بشدّة تعجّبه.

ما حصل للحوت من فقدانٍ توطئةٌ لتعجّب الفتى من النّسيان

سرُّ التّعبير بالفعل ﴿أَوَيْنَآ﴾ دون الفعل (ذَهَبْنا):

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظِ الإيواء في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ دون غيره من الألفاظ، فلم يَقُل مثلًا: (إذْ ذهبنا إلى الصّخرة)؛ لأنّ لفظَ الإيواء وما يحمله من معانٍ أنسبُ للسّياق؛ إذ من معاني الإيواء الضَّمّ والتّجمّع، والمأوى: هو المنزلُ، والمكانُ الذي يأوي إليه[2]، وأوَى إلى المكان: لجأَ إليه[3]، ومأوى الرّجلِ: منزلُه الّذي يميلُ إليه ويُقيمُ فيه[4]، وهذا كلّه يتناسبُ مع السّياقِ والمقامِ؛ إذ إنّ موسى وفتاه نزلا عندَ الصّخرةِ وأقاما وباتا ليلتهما عندها بقصدِ الرّاحة، ممّا يشيرُ إلى سببيّةِ عدمِ انتباه موسى ﷺ لما حصلَ مع الحوت، وهذا لا يضمنه استعمالُ لفظِ الذّهابِ الذي يدلّ في أصله على المُضي والمرورِ والسير[5]، والانتقالِ من مكانٍ إلى آخر[6].

ما حصلَ للفتى يوشع من فوتٍ يُبرّرُ عدمَ انتباه موسى لانسراب الحوت

دلالة الحرف ﴿إِلَى﴾ في قوله ﴿إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾:

﴿إِلَى﴾ حرفُ جرّ، ومعناه: انتهاءُ الغايةِ الزّمانيّة والمكانيّة، لإفادةِ معنى الانتهاء في الالتجاءِ والإقامةِ إلى الصّخرة، وهذا يدلُّ على كونها مكانًا تحقّقتْ فيه أسبابُ الرّاحةِ، بما يُمهّد لإمكانيّةِ ما

الانتهاءُ بالالتجاءِ إلى المكان المطلوبِ إشارةٌ إلى بدايةِ حصولِ المرغوبِ

(1) الهَرريّ، حدائق الروح والريحان: 16/ 451.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (أوى).
(3) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (أوي).
(4) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 86.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن سيدَه، المُحكَم: (ذهب).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (ذهب).

حصلَ عندها من الأمرِ العجيبِ بفقدانِ الحوتِ، والمعنى: أرأيتَ إذِ انتهينا في الالتجاءِ والإقامةِ إلى الصّخرة.

سرُّ التّعريف بـ(أل) في لفظ ﴿ٱلصَّخۡرَةِ﴾:

استحضار صورةِ الصّخرةِ الّتي أَوَيا إليها مشهدٌ أساسيٌّ في القصّة

(أل) التَّعريف في ﴿ٱلصَّخۡرَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ﴾ عهديّةٌ، والعهدُ فيها ذهنيٌّ؛ لأنَّها صخرةٌ معهودةٌ لموسى وفتاه، إذ أَوَيا إليها في سيرهما فجلسا عليها، وكانتْ في مَجْمع البحريْن، وقيل: إنّ موضعها دون نهرٍ يُقال له: نهرُ الزّيت؛ لكثرةِ ما عنده من شجرِ الزيتون[1].

علّةُ إضافةِ الإواء إلى الصّخرة دون مَجْمَعِ البحرَيْن:

بيانٌ لتعْيينِ مَحلّ الحادثةِ وتأكيدٌ لبسط الاعتذار

ذَكَرَ الفتى الإواءَ إلى الصّخرةِ في قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ﴾ مع أنَّ المذكورَ فيما سبَقَ مرَّتَيْن بُلوغُ مجمَعِ البحرَيْن؛ لزيادةِ تَعْيينِ مَحلِّ الحادثةِ؛ فإنَّ المَجمَعَ محلٌّ متَّسِعٌ لا يُمكِنُ تحقيقُ المُرادِ المذكورِ بنِسْبةِ الحادثةِ إليه، ولِتَمهيدِ العُذرِ؛ فإنَّ الإواءَ إليها، والنَّومَ عِندَها ممّا يُؤدّي إلى النِّسيانِ عادةً[2].

معنى الفاء في قوله تعالى ﴿فَإِنِّي﴾:

تعليلُ الدّهشةِ المعتريةِ وجوابُ السّؤالِ المُكتنف

فاءُ ﴿فَإِنِّي﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ إمّا أنْ تكونَ لتعليلِ الدّهشةِ التي اعترتهما ممّا نابهما[3]؛ أيْ: بسببِ أنّي نسيتُ أنْ أذكرَ لكَ أمره[4]، أو أنْ تكونَ جوابًا لـ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ على تضمينِ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ معنى (أمّا أو تنبّه)، والمعنى: أمّا إذ أوينا إلى الصخرةِ فإنّي نسيتُ الحوتَ، أو: تنبّه إذ أوينا[5].

دلالة التّوكيد في قوله ﴿فَإِنِّي﴾ على لسان الفتى المَعْنيّ:

في التّعبير بـ(إنّ) مضافةً إلى الفتى في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 233.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 629.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 98.
(5) أبو حيّان، التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: 6/ 99.

ٱلْحُوتَ﴾، وكذلك في الجملة الاسميّة، وتكرار ذِكْر المُسند إليه تأكيدٌ للتَّعجيب، وتربيةٌ لاستِعْظام المَنسيِّ[1]؛ أيْ: أكّد الفتى تعجّبه من نسيانِ ذِكْرِ أمرِ الحوتِ لموسى عليه السلام، وكذلك أكّدَ أنّ النسيانَ وقعَ منه، بخلافِ الآية السّابقة حيث نُسِبَ النّسيانُ إلى موسى عليه السلام وفتاه في قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: 61].

بيانُ تأكيدِ التَّعجيبِ والإشارةُ إلى استِعْظامِ المَنسيِّ العجيب

نكتةُ إيقاعِ النِّسيانِ على الحوتِ دون سواه:

أوقعَ البيانُ القرآنيُّ النِّسيانَ على اسْمِ الحوتِ في قوله: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾، دونَ ضميرِ الغَداءِ في قوله: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ مع أنَّه المأمورُ بإتيانِه؛ وذلك للتَّنبيه من أوَّلِ الأمرِ على أنَّه ليس من قَبيلِ نِسيانِ المُسافِرِ زادَه في المنزِلِ، وأنَّ ما شاهَدَه ليس من قَبيلِ الأحوالِ المُتعلِّقةِ بالغَداءِ من حيث هو غَداءٌ وطَعامٌ، بل من حيث هو حوتٌ كَسائرِ الحيتانِ، مع زيادةٍ، أي: نَسيتُ أنْ أَذكُرَ لك أمرَه، وما شاهَدتُ منه من الأمورِ العَجيبةِ[2].

الحوتُ من عطاءِ اللهِ وصُنعِه، ونسيانُه بسببِ خوارقِ أمرِه

بالإضافةِ إلى أنّ فيه إشعارًا بأنَّ الغداءَ الذي طلبه موسى عليه السلام من الفتى هو ذلك الحوتُ الذي فقداه[3].

دلالة النّسيان في قوله ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ﴾:

النّسيانُ في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾، يحتمل عدة معان منها: أي: نسيتُ حفظه وافتقاده، فانفلتَ في البحر[4]، وهو نسيانُ التّركِ والذّهولِ، فما كان يحسبُ أنّه سيتّخذُ طريقه إلى البحرِ بطريقٍ عجبًا[5]، أو يكون نسيته بمعنى فقدتُه[6]؛ بأنْ يكون النّسيانُ

ما سُمّي الإنسان إلّا لنسيانه، ولا القلبُ إلّا لأنّه يتقلّب

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 233.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 233.
(3) طنطاوي، الوسيط: 8/ 550.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4556.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 287.

مجازًا عن الفَقدِ بعلاقةِ السّببيّة؛ إذ النّسيانُ سببُ الفقد[1]، ويحتمل أنه يريد بالنسيان أنه نسي ذِكْرَه، بأنْ يقصَّ على موسى عليه السلام ما حدثَ للحوتِ[2]؛ أيْ: في الآية إضمارٌ معناه: نسيتُ أنْ أذكرَ لكَ أمرَ الحوت[3]، والنّسيانُ هنا على حقيقته[4].

دلالةُ التّعريفِ بـ(ال) في لفظ ﴿ٱلْحُوتَ﴾:

استحضارُ صورةِ الحوتِ الّذي حملاه كما يُحمل التّابوت

(ال) التّعريف في ﴿ٱلْحُوتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ عهديّةٌ، والعهدُ فيها ذِكْريٌّ؛ لأنَّه سبقَ ذِكْرُه في قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: 61][5]؛ أيْ: نسيتُ الحوتَ الذي حملناه في المِكْتَلِ الذي أمرَ اللّهُ موسى باستصحابه معه، وجعلَ اللّهُ فقدَه أمارةً على المكانِ الذي فيه الخَضِرُ[6].

نكتةُ التّعبير بلفظ ﴿ٱلْحُوتَ﴾:

الحوتُ زادٌ لموسى وفتاه، وأمارةٌ على تَحقُّق مُرادِ الله

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالحوت في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؛ تناسبًا مع عِظَم الوظيفةِ المُكلّف بها، وهي عودته إلى البحرِ ليكونَ أمارةً لموسى على لقاءِ العبدِ الصّالح؛ إذْ أصلُ كلمةِ الحوتِ في اللّغة الاضطرابُ والرَّوَغانُ، والحوتُ هو العَظيمُ من السَّمَكِ والمُضْطَرِبُ أَبَدًا غَيْرُ المُسْتَقِرّ[7]، ولأنّه أكثرُ أنواعِ السّمكِ احتمالًا للحياةِ خارج الماء، ويمكثُ أطولَ مُدّة دون أنْ يتعفّن، وليكونَ زادًا لهما يتزوّدان به في رحلتهما التي لا يعلمان مُدّتها كما قال: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: 60][8].

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاويّ: 12/ 123.
(2) الواحديّ، الوجيز في التّفسير، ص: 667، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 287، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 202، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 98.
(3) البَغَويّ، معالم التّنزيل: 5/ 187.
(4) القونوي وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 123.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 366.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حوت).
(8) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 8/ 648.

معنى الواو في قوله ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾، تحتمل وُجوهًا:

في العطفِ بيانٌ لتنوّعِ النّسيانِ، وفي الاعتراضِ اعْتِذارٌ عنه

الأوّل: عاطفةٌ، والمعطوف عليه جملة ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾، والمعنى المشترك بينهما أنّ كليهما نسيانٌ وقعَ من فتى سيدنا موسى عليه السلام، لكنّ الأوّلَ نسيَ الحوتَ؛ أيْ: نسيَ حفظه وافتقاده فانفلتَ في البحر، والنّسيانُ الثّاني أنّه نسيَ ذِكْرَ إخبارِ موسى عن الحوتِ؛ أيْ: هو نسيانٌ آخر غير النّسيانِ الأوّل، فهو نسيانُ تذكّر[1].

الثّاني: اعتراضيّةٌ، والجملةُ معترضةٌ بين المعطوف ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾، والمعطوفِ عليه ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾[2]، وقد قُدّمت على المعطوف؛ للاعْتِناءِ بالاعْتِذار[3]، "ولبيانِ ما يجري مجرى السّبب في وقوعِ النّسيانِ منه"[4].

الثّالث: حاليّة، والمعنى: (والحال في ذلك أنّي نسيتُ الحوت).

دلالة ﴿وَمَآ﴾ على النّفي في قوله ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾:

نسيانُ الحوتِ وفوتُه كان بفعلِ الشّيطانِ وزيغه

﴿وَمَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ نافيةٌ غير عاملة، وفيها معنى التّأكيد، فالفتى يؤكّد أنّ نسيانه للحوتِ لم يكن إلّا بفعلِ الشّيطان ووسوسته.

سِرُّ نسبةِ فعل النِّسيان إلى الشّيطانِ لا إلى الإنسان:

بيانٌ لزيادة التّعجيبِ، وعذرٌ للفتى في ذلك الفَقْد العجيب

نسبَ الفتى النِّسيانَ إلى الشّيطانِ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾؛ لبيانِ ما يجري مجرى السّبب في وقوعِ النّسيان منه[5]، وهذا من بابِ إضافةِ الشَّرِّ وأسبابه إلى الشّيطانِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 733، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 203، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 629.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 233.
(4) طنطاويّ، الوسيط: 8/ 550.
(5) طنطاويّ، الوسيط: 8/ 550.

على وجه التّسويلِ والتّزيين، وإنْ كان الكلُّ بقضاءِ اللّه وقَدَرِه[1]، ولبيانِ زيادةِ التّعجيبِ من هذا النّسيان[2]؛ إذِ الأصلُ في مثلِ هذا الأمرِ العجيبِ ألّا يُنسى، وفي هذا اعتذارٌ من الفتى عن نسيانه بشَغْلِ الشّيطانِ له بوساوسه[3].

بلاغةُ القَصْرِ في جملة: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

دأبُ الشّيطانِ أن يُنسيَ الإنسانَ ما يُقرّبه إلى الرّحمن

قصر النَّظم الكريم صفة النّسيان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ على الشّيطان دون غيره، فهو قصْرُ صفةٍ على موصوف، وهو قصرٌ إضافيٌّ، ووجهُ حصرِ إسنادِ هذا الإنْساءِ إلى الشَّيطان أنّ ما حصلَ له من نِسيانِ أَنْ يُخبرَ موسى بتلك الحادثةِ هو نِسيانٌ ليس من شأنه أنْ يقعَ في زمنٍ قريبٍ مع شدَّةِ الاهتمامِ بالأمرِ المَنْسيِّ، وشدَّةِ عنايته بإخبارِ نبيِّه به، ومع كونِ المنسيِّ أُعجوبَةً شَأْنُها ألّا تُنسى، وكونه أَمارَةً لَهُما على الطِّلْبَةِ الَّتي تَناهَضا مِنْ أَجْلِها[4]، يَتَعَيَّنُ أنَّ الشَّيطانَ ألهاهُ بأشياء عن أنْ يتذكّرَ ذلك الحادثَ العجيب؛ لأنَّ الشّيطانَ يسوءه التقاء هذيْن العبديْن الصّالحين، وما له من الأثرِ في بثّ العلومِ الصّالحة، فهو يصرفُ عنها ولو بتأخيرِ وقوعها طمعًا في حدوثِ العوائق[5].

فائدة التعبير بالمصدر المؤوّل وتأخيره:

إفادةُ العهدِ الذِّهنيّ تعبيرٌ عن أفاعيلِ الشّيطانِ الغَويِّ

المصدرُ المؤوّل ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ في موضعِ نصبٍ على البَدَلِ من الهاء في ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾، وهو بدلُ الاشتمال؛ لاشتمالِ الذِّكرِ على الهاء في المعنى؛ أيْ: وما أنساني ذِكْرَهُ إلا الشّيطان، والضّميرُ للحوت[6]، وفي

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 5.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 98.
(3) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 3/ 287.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 733.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 733، والمُنتَجَب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 303.

استعمالِ المصدرِ المؤوّل إطنابٌ وتوكيدٌ يُسهمان في رسمِ صورةٍ لكيدِ الشّيطانِ وتربّصه بالفتى حتى ينسى إخبارَ موسى عليه السلام.

وأمّا حكمةُ تأخيرِ المصدرِ المُؤوَّل وتقديمِ ذِكْرِ الشيطانِ عليه فتكمنُ في الاعتناءِ ببيانِ سببِ هذا النّسيان، وهو وسوسةُ الشّيطان، وبيانُ سرعةِ تبرئةِ نفسه والاعتذارُ عن نسيانه بشغلِ الشّيطانِ له بوساوسه[1].

علّة التّعبير بالواو العاطفة في جملة ﴿وَٱتَّخَذَ﴾:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالواو العاطفة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾؛ لأنّها عَطْفٌ على جملة ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾[2]، وهي بَقيَّةُ كلامِ فتى موسى، للتّعجّبِ ممّا حدثَ من الحوتِ، حيث عادتْ إليه الحياةُ بقدرةِ اللّه تعالى، واتّخذَ طريقه في البحرِ بتلك الصورةِ العجيبة[3] بعد أنْ كانَ ميِّتًا زمنًا طويلًا[4].

معجزةُ انسرابِ الحوتِ تأكيدٌ لعظمةِ ذي العِزّة والجبروتِ

وعبّر هنا بالواو دون الفاء كما في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: 61]؛ لأنّ الحالَ هنا لا يقتضي التعقيب والفوريّة؛ فقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ لم يأتِ عَقِبَ المعطوفِ عليه، وهو قوله: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؛ إذ المقامُ مقامُ إخبارٍ بما حصل، بخلاف قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف: 61]؛ فقد أتى بالفاءِ دون الواو؛ لأنّ اتخاذَ الحوتِ طريقًا في البحرِ سربًا كان عقبَ غفلةِ موسى وفتاه عنه.

موقع لفظ ﴿عَجَبًا﴾ ودلالته في السّياق:

جاء قوله: ﴿عَجَبًا﴾ منصوبًا على أنَّه ثاني مفعولَي ﴿وَٱتَّخَذَ﴾، والظّرفُ ﴿فِى﴾ حالٌ من أوّلهما أو ثانيهما، والتّقدير: (واتّخذَ الحوتُ سبيله في البحرِ سبيلًا عجبًا)[5]، أو جاء على أنَّه مصدر

كـان مسلكُ الحوتِ في البحرِ سَرَبًا، ولموسى وفتاهُ حَيرةً وعَجَبًا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 287.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 629.
(3) طنطاوي، الوسيط: 8/ 550.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(5) المُنتَجَب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 303، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 233.

بدلًا من فعله[1]، بأنْ قال ﴿عَجَبًا﴾ في آخر كلامه؛ أيْ: أَعْجَبُ له عَجَبًا، والمقصودُ منه تعجّب الفتى من تلك الحالة العجيبة التي رآها، ثم من نسيانه لها[2]، وهي بذلك جُملةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ من حكايةِ قول الفتى؛ أيْ: قد تمّ الكلام عند قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾.

أو على أنه صفة لمصدرٍ محذوفٍ، كأنَّه قيل: (واتّخذ سبيله في البحر اتخاذًا عجبًا)، ووجهُ كونه عجبًا انقلابُه من المِكْتَلِ وصيرورتُه حيًّا، وإلقاءُ نفسِه في البحر[3]، وهذا من كلامِ فتى موسى عليه السلام.

وقيل: إنّ ﴿عَجَبًا﴾ من قول موسى عليه السلام؛ أيْ: عجبتُ عجبًا من سَرَبِ الحوتِ وأثره في البحر؛ إذْ صارَ كالطّاق[4]، وقيل: عجبًا من نسيانك هذا الأمرَ العجيبَ أنْ تذكُرَه لي[5]، وعلى هذيْن القوليْن يكون الوقفُ على ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ كافيًا[6].

قال ابن زيد: "أيُّ شيءٍ أعجبُ من حوتٍ يُؤْكَلُ منه جهرًا، ثمّ صار حيًّا بعدما أُكل بعضه؟"[7]، ثمّ صارَ طريقه في البحرِ كالطّاق[8].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجواز والمرور:

يتقاربُ لفظا (الجواز) و(المرور)، وقد يُستعملُ أحدهما بمعنى الآخر، إلا أنّهما يفترقان ببعض الملامح المميّزة لكلٍّ منهما، وإيضاحُ ذلك:

الجوازُ قطعُ الشّيءِ وسلوكُهُ وتركُهُ خلفَه، والمرورُ هو مُضيٌّ وذهابٌ

أصلُ (جوز) يدلّ على قطعِ الشّيء، وجُزْتُ المَوْضِعَ: سلكتَه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 367.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 480.
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 480.
(4) النّحّاس، إعراب القرآن: 2/ 300.
(5) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التفسير: 10/ 109.
(6) الدّانيّ، المُكتفى في الوقف والابتدا، ص: 125.
(7) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 187.
(8) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير: 10/ 109.

وسِرْتَ فيهِ، وأَجَزْتُهُ: خَلّفْتَهُ وقَطَعْتَهُ[1]، وجاوزه: تعدّاه، يُقال: جُزتُ البلدَ؛ أيْ: تعدّيتَه[2]، وجازَ وأجاز وتجاوز الموضع: سلَكَه وتَرَكَه خَلْفَه، وسارَ فيه وقَطَعَه، واجتازَ الطَّريقَ: قطعَها وسلَكَها[3].

وأصلُ (مرَّ) يدلُّ على مُضيِّ شَيْءٍ[4]، والمرورُ: المُضيُّ والاجتيازُ، ومَرَّ يمرّ مرورًا: جازَ وذهبَ ومضى، كاسْتَمَرَّ، وقيل معناه: جاءَ وذهب[5].

إذن: يتميَّزُ لفظُ الجوازِ بمعنى قطعِ المكانِ وسلوكِه وتركِه خلفَه، بينما يتميّزُ لفظُ المرورِ بالمُضيِّ والذّهابِ والاستمرارِ في المُضيِّ، ولا يدلّ على قطعِ الشّيءِ وتركه خلفه.

وكأنّ المرورَ بالمكان يكون أوّلًا ثم تكون مجاوزته؛ أيْ: المجاوزة: البعدُ عن المكانِ عقبَ المرور فيه[6].

الإيتاء والإعطاء:

لا يكادُ اللّغويّون يفرّقون بين الإيتاءِ والإعطاءِ؛ إذ يُعرِّفون الإيتاءَ بالإعطاءِ، ويستعملون أحدهما مكان الآخر، إلا أنّه عندَ إمعانِ النّظرِ في معانيهما، واستعمالِ القرآنِ لهما يتبيّن بعض الفروق الدّقيقة بين اللّفظيْن، وإيضاحُ ذلك من خلال الآتي:

الإيتاءُ يكونُ واجبًا أو تفضّلًا، والإعطاءُ يدلّ على التّملّكِ ويكونُ بمخضِ التّفضّلِ فحسب

أصلُ الإيتاءِ يدلّ على مَجيءِ الشَّيْءِ وإصْحابِه وطاعَتِه، والأَتْوُ: الاستقامةُ في السَّيرِ والسُّرْعةِ، والإيتاءُ: الإعْطاءُ[7]، واشتُهِرَ الإيتاءُ في معنى الإعطاءِ، وأصلهُ الإحْضارُ[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهري، الصّحاح: (جوز).
(2) السّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 358.
(3) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (جوز).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مرّ).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (مرر).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 79.
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (أتو).
(8) الزّبيديّ، تاج العروس: (أتى).

وأصلُ الإعطاءِ يدلّ على أخذٍ ومناولةٍ، والعَطْوُ: التّناولُ باليد، والمعاطاةُ: المناولةُ، والتّعاطي: تناولُ ما ليس لهُ بحقّ، يُقال: فلانٌ يتعاطى ظلمَ فلانٍ[1].

ومن الفروق بين الإيتاء والإعطاء:

الإعطاءُ يكونُ في الأشياءِ المادّيّة؛ إذْ أصلهُ التّناول، وفيه دليلٌ على التّملّك، بينما الإيتاءُ يكونُ في الأشياءِ الماديّة والمعنويّة.

الإيتاءُ قد يكونُ واجبًا، وقد يكونُ تَفَضّلًا، بخِلافِ الإعْطاءِ؛ فإنَّه لا يكونُ إلّا بمحْضِ التَّفَضّلِ[2].

الإيتاءُ أقوى من الإعطاءِ؛ لأنّ الإعطاءَ له مطاوعٌ، يُقال: أعطاني فعَطَوتُ، ولا يُقال: أتاني فأتيتُ، وإنّما يُقال: أتاني فأخذتُ، والفعلُ الذي له مُطاوع أضعفُ في إثباتِ مفعوله من الذي لا مطاوعَ له[3]، لذلك استعملَ القرآنُ الإيتاءَ دون الإعطاءِ للأشياءِ العظيمة، مثل (المُلك) و(الحكمة) و(السّبع المثاني) و(القرآن العظيم).

وقيل: الإعطاءُ أَقْوَى من الإيتاءِ، ولذا خَصَّ في دفْعِ الصَّدَقاتِ الإيتاءَ؛ ليكونَ ذلك بسُهولَةٍ من غيرِ تَطَلّعٍ إلى ما يَدْفَعه، والكَوْثَرُ لَمّا كانَ عَظيمًا شأنُه غير داخِلٍ في حيطَةِ قدْرَةٍ بَشَريَّةٍ اسْتُعْمِل الإعْطاءُ فيه[4].

الإيتاءُ في أَكثر مواضع القُرْآن فيما لَهُ ثباتٌ وقرارٌ، كالحكمة والسّبع المثاني، والمُلك الَّذي لا يُؤْتى إلّا لذي قوَّة، والإعطاءُ: فيما ينْتَقل منه بعد قَضاء الحاجة منه كإعطاء كلّ شَيْء خلقه لتكرّر حُدوث ذلك باعْتِبار الموجودات، وإعْطاء الكَوْثَر للانتقال منه إلى ما هو أعظم منه[5].

ونخلصُ إلى أنَّ الإيتاءَ يكون مع الأشياءِ الماديّة والمعنويّة، ولا يدلّ على التملّك، وغالبًا يكون للشّيء العظيم، وفيه قوّةٌ فلا يتوقّف على قبول، وقد يكون واجبًا، وقد يكون تفضّلًا.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عطو).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (عطو).
(3) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 85.
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (أتى).
(5) الكَفَويّ، الكُليّات، ص: 212.

الغداء والطَّعام:

الغَداءُ هو طَعامُ الغُدْوَةِ خاصّةً، والطَّعامُ عامٌّ جامعٌ لكُلِّ ما يُؤكَل وفي أيّ وقتٍ

بين لفظي الغداءِ والطعامِ عمومٌ وخصوص؛ فالطعامُ لفظٌ عامٌّ لكلّ ما يُؤكَل غير محدّدٍ بزمن، أمّا الغداءُ فهو طعامٌ خاصٌّ مُحدّدٌ في زمنِ الغدوة، ويتّضح ذلك من خلال الرّجوع إلى المعنى اللّغويّ لكلٍّ منهما:

الغداءُ أصله من (غدو)، ويدلّ على زمان، ومنه الغُدْوَةُ: البُكْرَةُ ما بين صلاةِ الغداةِ وطلوعِ الشمسِ، والغَداةُ: الضّحْوَةُ، والغَداءُ: الطَّعامُ بعَيْنِه، وهوَ خِلافُ العَشاء، والغَداءُ: طَعامُ الغُدْوَةِ، سُمّيَ بذَلِكَ لأَنَّهُ يُؤْكَلُ في ذَلِكَ الزَّمانِ[1].

والطَّعامُ أصله من (طعم)، وهو تَذَوُّقُ الشَّيْءِ[2]، والطَّعامُ: اسمٌ جامعٌ لكُلِّ ما يُؤكَلُ، وما به قِوامُ البَدَنِ، وهو عامٌّ في كلِّ ما يُقْتات، وكلُّ ما يَسُدُّ جوعًا فهو طَعام[3].

النَّصَبُ والتَّعَبُ:

النَّصَبُ تعبٌ حاصلٌ من عملٍ أو بذلِ جهد، والتَّعبُ العناءُ والإعياءُ الشّديد

يوجد تقاربٌ دلالي كبير بين لفظي (النَّصَب) و(التَّعَب)؛ إذْ يشتركان في معنى الإعياء والمَشقّة، كما أنّ اللُّغويّين عرّفوا النَّصَبَ بالتَّعب، ورغم هذا التّقارب الدّلالي الكبير بين اللّفظيْن إلّا أنّ لكلٍّ منهما ما يُميِّزه، ويتّضح ذلك من خلال الآتي:

أصلُ النَّصْبِ يدلُّ على إقامَةِ شَيْءٍ وإهْدافٍ في اسْتِواءٍ، والنَّصَبُ: العَناءُ، مأخوذ من الانتصاب، ومَعْناهُ أَنَّ الإنْسانَ لا يَزالُ مُنْتَصِبًا حتَّى يُعْيِيَ[4]؛ أيْ: كأنّما أُقيمَ في عملٍ شديد حتَّى تعب، والنُّصْبُ والنَّصَبُ: التَّعَبُ والمشقّة، ونَصَبَه المرض: أتعبه وأوجعه، والنُّصْبُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (غدو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طعم).
(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (طعم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب).

أيضًا: الشَّرُّ والدّاءُ والبلاء[1]، والنَّصَبُ: "التّعبُ والمشقّة الّتي تُصيبُ المنتصبَ للأمرِ المزاولِ له"[2].

وأصلُ التَّعَب هو الإعياء[3]، والتَّعبُ: ضدُّ الرّاحة، وهو شدّةُ العَناءِ، يُقال: أتعبَ فلانٌ نفسَه في عملٍ يُمارسه إذا أنصبها فيما حمّلها وأعملها فيه[4]، وتعِبَ الشَّخصُ: كَلَّ وأصابته مَشَقّة، وأتعبه السَّيرُ الطَّويلُ: أجهَده وأرهقه[5].

إذن، يتميّزُ لفظُ النّصبِ بمعنى الانتصاب؛ فهو تعبٌ يُصيبُ المُنتَصِبَ للأمر المُزاولِ له[6]، وهذا يشيرُ إلى أنّ ما أصابَ الإنسانَ من تعبٍ وإعياءٍ ومشقَّة هو تعبٌ حاصلٌ من عملٍ أو بذلِ جهد، وكأنّما أُقيمَ في عملٍ شديدٍ حتَّى تعب، ولهذا قيل في معاني النَّصَب: إنّه تعبُ البدنِ خاصّةً[7]، أو تعبٌ من شدّة حرٍّ أو بردٍ[8]، أو الجوعِ، أو المرض، بينما لفظُ التَّعَب ليس فيه إشارةٌ إلى سببِ التّعبِ، فهو أعمّ من النَّصَب؛ إذ هو ضدّ الراحة؛ ومعناه: الإعياءُ الشديد والعناء.

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (نصب).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 614.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تعب).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (تعب).
(5) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (جوز).
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 614.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 34.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»